شرح الإرشاد

لأبي بكر بن ميمون

تحقيق الدكتور الشيخ

أحمد حجازي أحمد السقا

الناشر مكتبة الأنجلو المصرية بمصر

إهـــداء

أهدى هذا الكتاب الى الأستاذ الدكتور يحيى هاشم حسن فرغـل استاذ الفلسفة الاسلامية بجامعة الأزهر ، وعميد كلية أصـــول الدين • فرع جامعة الأزهر فى طنطا • تقديرا لعلمه وخلقه ؟

د / احمد حجازى السقا

١٤٠٧ هـ ـ ١٩٨٧ م
طبعة مصر

ملاحظـــة :

يطبع هذا الكتاب لأول مرة فى « مصر » على مخطوطة مكتبـة احمد الثالث فى « تركيا » وحق الطبـع والنشر لمكتبة الانجلو المصرية ١٦٥ شارع محمد فريد بالقاهرة .

الطبعة الأولى بمصر
جمادى الأولى ١٤٠٧ هـ ـ يناير ١٩٨٧ م
مطبعة دار التضامن
٢٢ شارع سامى ـ لاظوغلى

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة الكتاب

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على النبى الأمى الكريم ، وعلى آله وأصحابه أجمعين ، والتابعين لهم بالخير الى يوم الدين .

أما بعد

فان الشيخ (١) عبد الملك ، بن عبد الله ، بن يوسف ، ابن محمد ، بن عبد الله . المكنى بابى المعالى ، **المولود فى اليوم الثامن عشر من المحرم عام اربعمائة وتسع عشرة من الهجرة** . الموافق الثانى والعشرين من فبراير عام الف وثمانية وعشرين من الميلاد . **والمتوفى فى اليوم الخامس والعشرين من شهر ربيع الآخر ، عام ثمان وسبعين واربعمائة ،** الموافق الخامس والعشرين من أغسطس عام الف وخمسة وثمانين من الميلاد .

قد الف كتابا جليل القدر ، فى عام الكلام ـ وهو علم الفلسفة الاسلامية ـ ، وسماه : « **الارشاد الى قواطع الأدلة فى أصول الاعتقاد** » .

* * *

وامام الحرمين ـ رحمه الله ـ من بيت علم ودين . فوالده هو الشيخ عبد الله بن يوسف بن عبد الله . قد ذكر «السبكى» فى طبقات الشافعية انه كان تقيا وعالما وعلى خلق . وقد أثر فى ولده (٢) تاثيرا حسنا ، فكان

---

(١) انظر : الجوينى امام الحرمين للدكتورة فوقية حسين محمود . ـ سلسلة أعلام العرب .

(٢) امام الحرمين مثل صديقنا العزيز الاستاذ الدكتور يحيى هاشم حسن فرغل . فان والده كان اماما من أئمة المسلمين العظام .

خير خلف لخير سلف . وقد رحل الى « بغداد » و « بلاد الحجاز » وجاور فى « مكة المكرمة » اربع سنوات ، يناظر ويفتى . وقد بلغ من اجتهاده فى المناظرة والفتيا ، أن حرص المسلمون على تلقيبه بلقب « امام الحرمين » تكريما له ، واعترافا منهم بجهوده ..

وقد ألف فى علم أصول الدين كتابه الذائع الصيت « الارشاد الى قواطع الأدلة فى أصول الاعتقاد » وقد حققه واعتنى به : الدكتور محمد يوسف موسى ـ والأستاذ على عبد المنعم . فى « مصر » ، ومن قبلهما المستشرق « لوسيانى » مع ترجمة فرنسية سنة ١٩٣٨ م ، فى « باريس » .

* * *

وقد تحدث فى هذا الكتاب عن نظرية المعرفة ، وعن حدوث العالم ؛ ليبين أن الله هو الخالق للعالم ..وتحدث عن الله وصفاته . ومن المسائل التى شغلت بال المسلمين طويلا : مسألة الاستواء على العرش . وأوله المؤلف فى كتاب الارشاد هذابمعنى القهر والغلبة والعلو . ثم تحدث عن مسألة خلق الأعمال . فاثبت ان الله خالق كل شىء وانه يريد الايمان من عباده اختيارا . ثم تحدث عن النبوة والمعجزة ، وفرق بين المعجزات والكرامات التى للأولياء . وبين أن الدليل على نبوة محمد ﷺ هو القرآن والمعجزات الحسية ، مثل تسبيح الحصى فى كفه ﷺ . والأنبياء لدى الامام معصومون من الفواحش . والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ، واجبان على المسلم . ثم تحدث فى البعث من الأموات ، واثبته بادلة سمعية وعقلية .

وقال : ان الجنة والنار مخلوقتان الآن ، وأن الثواب فضل من الله على المتقين ، واثبت الشفاعة لعصاة المؤمنين . وبين أن الامامة عند المسلمين اختيارية والنبى ﷺ لم ينص على « على » رضى الله عنه ، كما تقول الامامية .

* * *

وقد شرح كتاب « الارشاد » :

١ ـ ابراهيم بن يسف محمد ، ابن المرأة ، عام ٦١٦ هـ

٢ ـ عر بن المظفر بن على الشافعى .

٣ ـ صاحب « الاسعاد على شرح الارشاد » .

٤ ـ أبو القاسم ، سلمان ابن ناصر ، الأنصاري ، المتوفى ٥١٢ هـ

٥ ـ ابو بكر بن ميمون .

٦ ـ ابو اسحاق ، ابراهيم بن يوسف بن محمد . له « نكـــت الارشاد فى الاعتقاد » .

* * *

وشرح الامام ابى بكر بن ميمون . له فيلم فى جامعة الدول العربية برقم ١٤٣ مصور عن نسخة بمكتبة أحمد الثالث فى تركيا . ونطبع هذا الشرح عن نسخة أحمد الثالث ، على صورتهـا التى أهداهـا الينا فى « الكويت » ـ بلد العلم والمعرفة ـ صديقنا العزيز الأستاذ الدكتور حسين آتاى . عميد كلية الالهيات بانقرة ، فى ديسمبر سنة ١٩٨٤ م ونسـخة احمد الثالث مكتوب فى آخرها : « وافق الفراغ من هذه النسخة المباركة ، يوم الأحد ، الثانى والعشرين ، من شهر جمادى الآخرة ، سنة أثنين وثمانين وسبع مائة » .

وقد حققنا نص « الارشاد » الذى ذكره المفسر ابو بكر بن ميمون ، على نص كتاب « الارشاد » الذى حققه الدكتور محمد يوسف موسى ، وزميله الأستاذ / على عبد المنعم . المطبوع فى « مصر » سنة ١٩٧٠ م فى مطبعة السعادة . ورمزنا للنص المطبوع برمز (ط) وقد وجدنا فروقـ تخل بالمعنى . بين نص « الارشاد » المطبوع ، وبين نص « الارشاد » الذى يذكره الامام « ابو بكر بن ميمون » ليفسر ه.

ومن هذه الفروق :

١ ـ الأصوليين (خ) الموحدين (ط) ٢ ـ ثم يفسد النظر تجرده (خ) ثم يفسد النظر بحيده (ط) ٣ ـ مع استناده للسداد لطرو قاطع (خ) للسداد اولا لطروء (ط) ٤ ـ بصفة لازمة هو يتقدر فى نفسه عليهـــا . ولا تقدر فى العقل تقدير وجوده (خ) بصفة لازمة هو فى نفسه عليها ، ولا يتقرر فى العقل تقدير وجوده (ط) ٥ ـ والهزم (خ) والنـوم (ط) ٦ ـ المانع من كون العقل من قبيل العلوم وكونه مشروطا ثبوته بثبوت ضروب منها ، كالارادة المشروطة بالعلم بالمراد (خ) المانع من كون العقل خاليا عن العلوم ، كونه مشروطا ثبوته بثبوت ضروب منهـــا كالارادة المشروطة بالعلم بالمراد (ط) ... الخ . وقد رمزنا لنص « الارشاد » الذى نقله الامـــام أبو بكـر بن ميمون ، ليفسره ، برمز (خ) وكـاتب المخطوطة مرة يقول : قال المفسر ابو بكر بن ميمون ، ومرة يقول : قال الفقيه ابوبكر بن ميمون ، ومرة يرمز اليه برمز (ن) ومرة يقول قال المفسر ، ومرة يقول : قال الفقيه . فوحدنا العبارات بقال المفسر ابو بكر بن ميمون وقال عن صاحب المتن : قال الامام ابو المعالى . ومرة يقول : قال الامام . فوحدنا بعبارة : قال الامام ابو المعالى . وقد وضعنا نص كلام الامـام ابو المعالى بالخط الأسود ، ليتميز عن كلام الشارح .

ورمزنا للأصل برمز (ص) ووضعنا تعليقات فى الهامش على بعض المسائل .

وقد بدأت تحقيق « شرح الارشاد » لأبى بكر بن ميمون . فى مدينة « الكويت » فى السابع والعشرين ، من شهر مايو سنة ألف وتسعمائة وخمسة وثمانين .

« وما توفيقي الا بالله عليه توكلت واليه أنيب » .

د / أحمد حجازى أحمد على السقا

الكويت . فى : ١٩٨٥/٥/٢٧ م

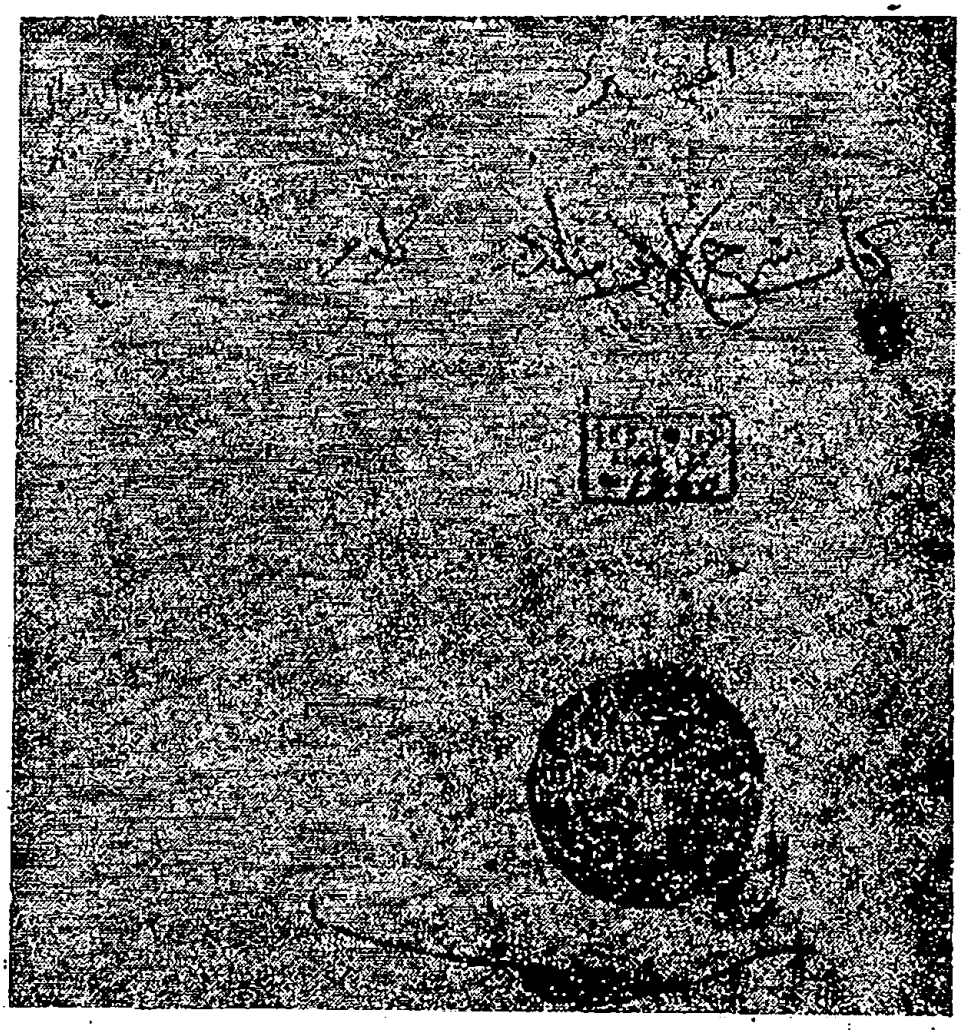

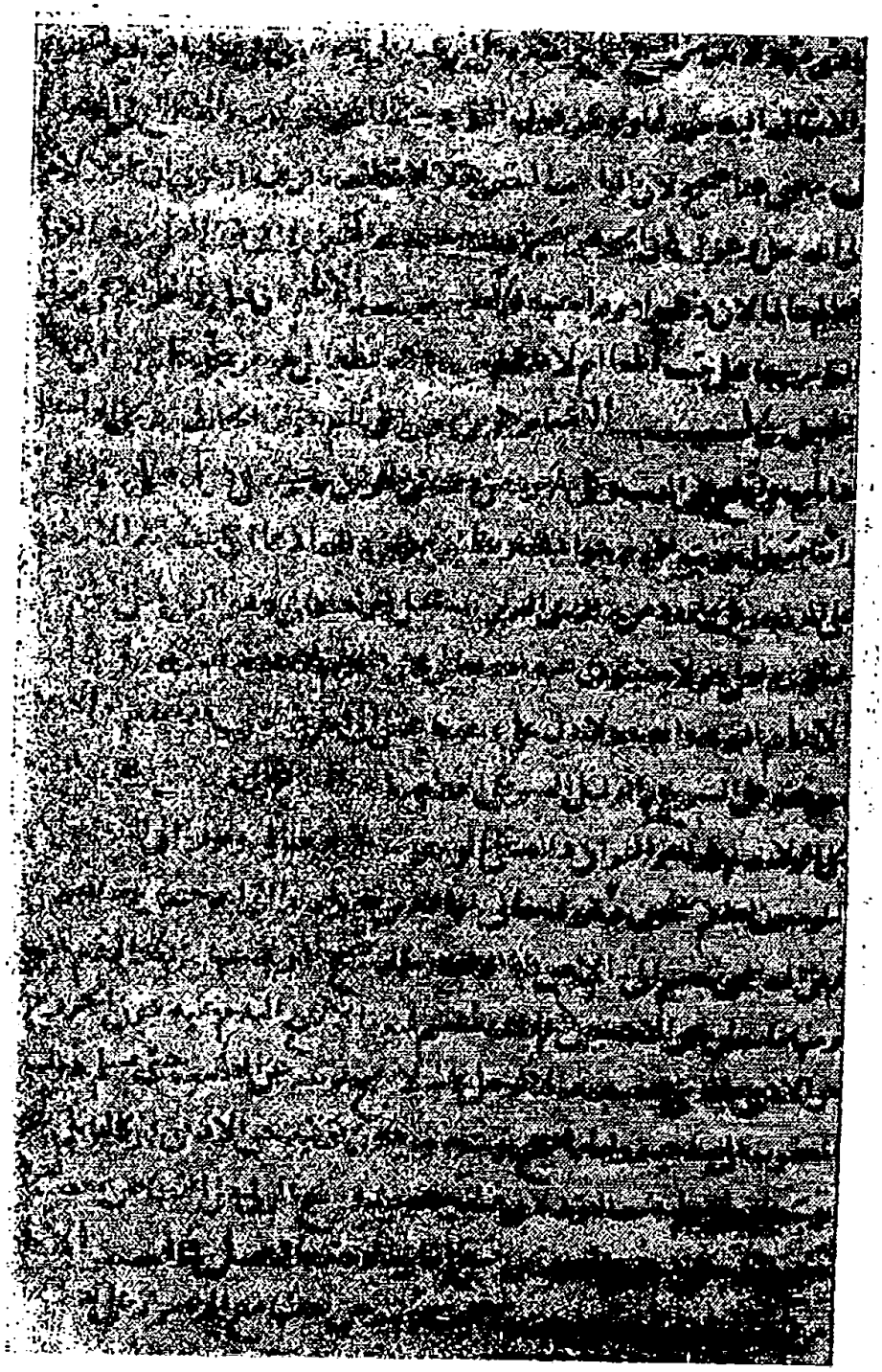

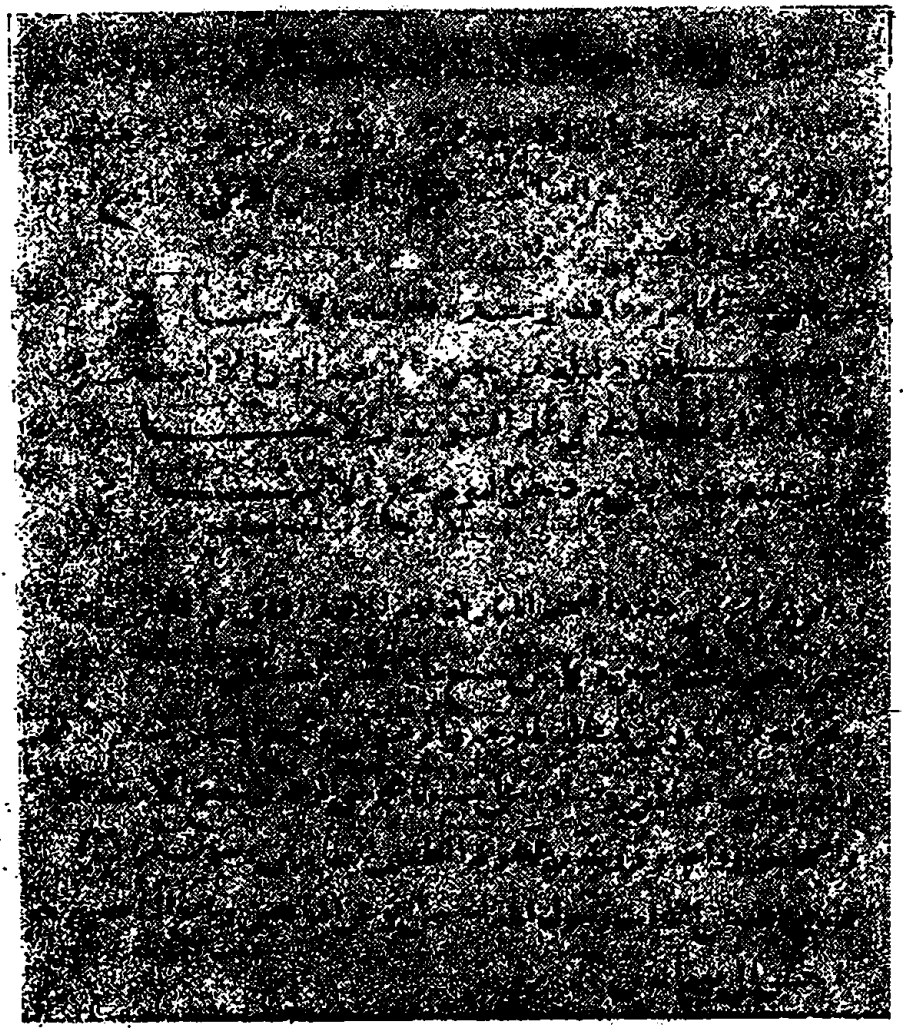

بسم الله الرحمن الرحيم

رب يسر ، وأعن ٠

قال الامـام الأوحـد ، الحافظ الفقيه « أبو بكـر بن ميمون » ـ رضى الله عنه :

صناعة الكلام هى أشرف الصنائع موضوعا ، وأعظمها قدرا ، وأهمها معرفة ، وأجمعها معلومات ٠

فاما شرف موضوعها : فان معلومها البارى ـ جل وعز ـ الذى له الوجود الكامل ٠

واما عظم قدرها : فلأنها صناعة تعصم الانسان فى دنياه واخراه ٠ **فعصمته فى دنياه :** ان دمه وماله لايستباحان ٠ اذا كان عند الانسان العلم بالله ـ جل وعز ـ **واما العصمة فى الآخرة :** فلامان الخلود فى النار ، بقوله جل وعـز : « اخرجوا من النـار ، من فى قلبه مثقـال ذرة من الايمان » (١) ٠

واما كونها مهما : فلأن الانسان انما خلق ليعبد الله ٠ قال الله جل وعز : « وما خلقت الجن والانس ، الا ليعبدون » (٢) والعبادات لاتصح الا بشرط الايمان ٠ فمن لم يكن مؤمنا لم تصبح العبادات منه ٠ وهـل يتوجه الأمر بها اليه ؟ اختلف فى ذلك العلماء ٠ فمنهم من راى أن الكفار مخاطبون بفروع الشرائع ٠ ومنهم من رأى أنهم مخاطبون بالأصـول خاصة ٠ وبيان ذلك فى أصول الفقه ٠

واما عموم معلوماته : فلأنه يتعلق بالوجود كله ٠ والوجود كـله منقسم الى قديم ٠ وهو وجود البارى ـ جل وعز ـ وصفات ذاته ٠

---

(١) حديث وليس بقرآن (٢) الذاريات ٥٦

والناظر فى صناعة الكلام ، ينظر فى المخلوقات من حيث هى أدلة ووسائل وطرق الى العلم بالله ـ جل وعز ـ فاذا وصلته الى العلم بالله ـ جل وعز ـ فقد تحصل له الوجود كله . ولاتوجد صناعة اعم معلومات من هذه الصناعة . فاذا تمهد هذا ، وعلم أن المطلوب بها : انما هو العلم بالله ـ جل وعز ـ والعلم بالله ـ جل وعز ـ ليس ضروريا ، وانما هو كسبى نظرى . فليكن أهم مايعتنى به فى هذه الصناعة ، العلم باحكام النظر .

واعلم قبل الخوض فى ذلك : ان هذه الصناعة يدعو اليها أمران : احدهما : الشرع ، والثانى : اعطاء الفضل الانسانى مايستحقه ، ويكون كمالا له .

فاما الشرع . فان الله ـ جل وعز ـ يقول : « فاعلم . انه لا اله الا الله » (١) .

ويقول تعالى : « فان لم يستجيبوا لكم . فاعلموا : انما انزل بعلم الله ، وأن لااله الاهو . فهل أنتم مسلمون ؟» (٢) فامر تعالى بالعلم بالله . والعلم بالله انما يتوصل اليه بهذه الصناعة . واما اعطاء الفضل (٣) الانسانى كماله . فهو أن الانسان مشارك للنبات بنمائه ، لأنه ينمو ، كما ينمو النبات ، ومشارك للحيوان غير الناطق بحسه وحركته الارادية . وانما ينفصل عنهما بالقوة الناطقة ، التى هى العقل ، التى يتصور به المعقولات . فليس شريفا بنمائه . اذ يشاركه فيه النبات والحيوان غير الناطق ، وليس شريفا بحياته وحركته الارادية . لأن الحيوان غير الناطق يشركه فى ذلك . وانما شرفه وكماله بقوته العقلية . ويظهر كمال قوته العقلية فى هذه الصناعة .

وبهذا ينبغى أن تنبعث الهمم على طلبها ، ويقف الاعتناء على تحصيلها .

---

(١) محمد ١٩ (٢) هود ١٤

(٣) تنطق فى المخطوطة بالصاد المهملة ، ونطقت من قبل بالضاد المعجمة .

باب

فى

احكـــام النظـــر

قال الإمام أبو المعالى : « أول مايجب على العاقل البالـــغ باستكمال سن البلوغ ، أو الحلم ، شرعا : القصد الى النظـر الصحيح المفضى الى العلم بحدث العالم » .

قال المفسر أبو بكر بن ميمون . هذا من أحسن ترتيب واحقه واولاه . لأن المطلوب فى هذه الصناعة ، لما كان العلم . وكان لايدرك الا بالنظر ، قدم مالا يتوصل الى العلم الا به ، على سائر المطلوبات .

وكان بعض شيوخنا يعترض على « أبى المعالى » فى هذه الترجمة ، ويقول : انه جمع فيها بين الأحكام العقلية والشرعية . لأنه ذكر حده . وقال : انه هو الذى يطلب به من قام به علم ، أو غلبة ظن .

ثم ذكر أنه أول مايجب على العاقل . وهذا حكم شرعى . قال : وكان حقه أن يفرد الحكم العقلى ، ولايخلطه بالحكم الشرعى . وهـذا الذى اعترضه هذا المعترض ، لايلزم . لأنا اذا قلنا : أحكام . فانها تشمل الحكم العقلى ، والحكم الشرعى . ألا ترى انا نقول : الأحكام تنقسم الى أحكام عقلية ، وأحكام شرعية . فاذا كان لفظ الأحكام يتناولهما ، فلا مطعن على « أبى المعالى » فيما ذكره . ولما كان المقصد من هـــذه الصناعة ، امتثال أمر الله ـ جل وعز ـ فى العلم به . وكان العـلم به لايتوصل الموصل اليه الا بالنظر ، قـدم الامـــام « أبو المعالى » أول مايجب على العاقل البالغ ، حتى لايكون النظر فى هـذا الصـــناعة الا حسب أمر الله تعالى .

ثم اختلف الناس فى اول الواجبات : فمنهم من قال : انه الايمان . واحتج فى ذلك بقول الله تعالى : « آمنوا بالله ورسوله » (١) وممن رأى هذا : « **القاضى ابو جعفر السمنانى** » و « **القاضى ابو الوليد الباجى** » ومن الناس من رأى أن أول الواجبات : العلم بالله . لقوله تعالى : « فاعلم . أنه لا اله الا الله » (٢) ومنهم من رأى أن العلم لايتحصل الا بالنظر . فقال : ان أول الواجبات النظر الموصل الى العلم . ومن الناس من رأى أن هذا القول لايرسل هكذا ارسالا . بل يقيد . لأن النظر قد ينبنى على أركان ، ويتاسس على قواعد . فمن الحق ان يقصد الى أول جزء من النظر ، لتقع الأولوية فى محلها .

ورأى « الامام ابو المعالى » ـ رضى الله عنه ـ أن النظر عمل من الأعمال لايصح أن يفعل الا بعد القصد اليها . فرأى ان القصد هو المتقدم . ولم يرد على «ابى المعالى» أحد ، الا ما حكى عن «ابى هاشم» انه قال : « أول الواجبات : الشك فى المنظور فيه » وهذا غير صحيح . لأن القصد الى النظر يتقاضى النظر ، من حيث كان مرادا ومقصودا . وأما الشك فى الشىء ، فلا يتقاضى النظر فيه . اذ رب شاك يستمر على شكه ، ولاينظر فى المشكوك فيه .

وأما قول من يرى أن الايمان هو أول الواجبات . **وهو اختيار « الامام ابى حامد » واحتج فيه بما احتج به « القاضى ابو جعفر » وزاد** الى ذلك ، أن قال : « مازال النبى ﷺ يطالب العرب بالايمان ، ويقنع منهم بمجرد الايمان ، بآية يتلوها عليهم ، أو موعظة يعظهم بها ، من غير ان يطالبهم بعلم ، ولا يأخذهم بتحديق عقيدة » قال : « فاذا كان هذا ، المعلوم من عصر رسول الله ﷺ وحاله ، فكذلك يكون فى سائر الأعصار الأمر » .

---

(١) النساء ١٣٦ (٢) محمد ١٩

وهذا الذى قاله الامام ، فيه نظر . لأن العرب كانت تدين بدين ، ورثته عن آبائها ، وأخذته عن أسلافها . فلا يظن بهم أنهم تركوا ذلك ، لغير نظر ، وصاروا الى نقيضه بغير حجة . هذا بعيد فى العادات . لأن ترك أمة من الأمم ، دين الأسلاف والآباء ، عن غير حجة . ليس بجائز فى العادات . ولولا ماجعل الله فى قلوبهم من ثلج اليقين ، ونور الهدى ماتركوا ماكان عليه السلف . واذا كان ذلك كذلك ، وجب أن تكـــون سائر الأعصار ، حكمها فى النظر ، حكم عصر رسول الله ﷺ .

وقد قال بعض الأئمة : « مايقول من جعل الايمان أول الواجبات . فى رجلين ، ادعيـــا النبـــوة . ما الذى يفعل من رأى أن الايمـــان أول الواجبات ؟ أيتبعهما جميعا مع فرض يناقض شرائعهما ؟ أم يتبـــع أحدهما من غير فرض دليل ؟ وهذا مالا يصح أن يقال به ، ولابد من النظر فى أمرهما ، حتى يتبين الصادق منهما من الكاذب » .

* * *

قال الإمام أبو المعالى : البالغ هو المحتلم فى حق الذكور ، أو الحيض فى حق النساء ، واستكمال سن البلوغ مختلف فيه . فقيل : انه خمسة عشر عاما ، وقيل : انه ستة عشر عاما ، وقيل : انه ثمانية عشر عاما » .

وفى قول الامام : « القصد الى النظر » : نظر . وذلك أن القصـــد ـ وهو الارادة ـ بصحبة العلم باطراد . وأنت اذا أردت مرادا ، فلابد أن تكون عالما به . فعلى هذا يجب أن يكون النظر الصحيح ، المفضى الى العلم ، معلوما لقاصده . ولايعلم صحة النظر الا بعد افضائه الى العلم ، والناظر فى حال نظره غير عالم . لأن النظر ضد من أضـــداد العلم . والتفصيل عن هذا ، سيقع فى أبواب العلم ـ ان شاء الله تعالى ـ

***

قال الإمام أبو المعالى : والنظر فى اصطلاح الأصوليين (١) هو الفكر ، الذى يطلب به من قام به علما أو غلبة ظن » .

قال المفسر أبو بكر بن ميمون : هذا النحو من البيان ، تختلف النظار فيه . هل هو حد أو ليس هو بحد ؟ فمنهم من يرى أنه ليس بحد ، لأن الحد حاصر للمحدود . الا ترى أنك اذا قلت فى العلم : انه معرفة المعلوم على ماهو به ، فقد ادمجت ضروب العلم وأنواعه بهذا الحد ، وأنت اذا قلت فى النظر : انه الفكر الذى يطلب به من قام به علما ، لم يدخل تحته غلبة الظن . وكذلك اذا قلت فيه : انه الفكر الذى يطلب به من قام به غلبة ظن . لم يدخل تحته النظر المؤدى الى العلم . فقالوا : انما هذا تقسيم وليس بحد .

ومن النظار من يرى أن هذا حد ، لأن الحد مقتضاه الاحاطة بالمحدود . وقد حصل هذا فى قولنا : ان النظر ما يطلب به علما أو غلبة ظن . ولا يبالى أن يكون هذا الشمول بضربين أو بضرب واحد .

وفى قول الامام رضى الله عنه : « **انه الذى يطلب به من قام به علما أو غلبة ظن** » [كلام] لانه حصر النظر فى هاتين الجهتين . وقد نجد للنظر جهات غيرها . منها ما ذكره هو رضى الله عنه من معارضة الفاسد بالفاسد . وهذا ضرب من النظر ، ولا يطلب به علما ولا غلبة ظن ، والناظر قد يقصد بنظره تشكيك المناظر ، وقد يقصد به التمويه عليه . وهذا مقصد السوفسطائى . وقد تبين بهذا : أن النظر لا ينحصر فى طلب العلم ، وغلبة الظن ، بل هناك ضروب من النظر يطلب بها غير العلم وغير غلبة الظن .

---

(١) الموحدين : ط

* * *

قال الإمام أبو المعالى : «ثم ينقسم النظر (١) الى الصحيح والى الفاسد ، والصحيح منه : كل ما يؤدى الى العثور على الوجه الذى منه يدل الدليل . والفاسد ما عداه »

قال المفسر ابو بكر بن ميمون : اختلف النظار فى العثور على الوجه الذى يدل منه الدليل . هل هو جزء من النظر ؟ لأن العلم بالمنظور فيه ، انما يتحصل بعد العثور على الوجه الذى منه يدل الدليل . وقال سائر النظار ان العثور على الوجه الذى منه يدل الدليل ، ليس من النظر ، لأن النظر طلب وبحث ، والعثور على الوجه الذى منه يدل الدليل : علم ، وسداد ، ويقين ، فلم يكن من أجزاء النظر ، لكن بمحصول ذلك العلم قد انقضى النظر وتم البحث ، ولزم عند العثور على الوجه الذى منه يدل الدليل ، العلم بالمنظور فيه . فان قيل : اهنا علمان يتعلق أحدهما بالوجه الذى منه يدل الدليل ، ويتعلق الثانى بالمنظور فيه أم لا يتعدد العلم ؟ فالذى اختاره الحذاق من أهل النظر : أن العلم بالمنظور فيه ، هو نفسه يتعلق بوجه الدليل .

فان قيل : العلم الحادث لا يتعلق الا بمعلوم واحد ، اذ لو تعلق بمعلومين لجاز أن يتعلق بثلاثه واربعة الى مالاينتاهى . وهذا باطل ، فكيف كسرتم الدليل من هذا الأصل فى هذا الموطن ؟ والجواب عن ذلك ان يقال : ان كل معلومين يجوز ان يعلم أحدهما مع الجهل بالآخر . فان العلم الواحد يستحيل تعلقه بهما . وكل معلومين لايجوز أن يعلم أحدهما الا مع العلم بالثانى ، فان العلم بهمامتحد . ألا ترى أنك اذا عرفت القبل ، لم يصح أن تعلمه الا بعد معرفتك البعد . وكذلك علمك بأحد المثلين او باحد الغيرين . لابد للعالم باحدهما أن يعلم الآخر . فتعلق بهما علم واحد . وكذلك الأمر ههنا . اذ لايجوز للناظر أن يعلم المنظور فيه ،

---

(١) النظر قسمين الى ... الخ : ط

مع جهله بالوجه الذى منه يدل الدليل ، ولا أن يعلم الوجه الذى منه يدل الدليل مع الجهل بالمعلوم . فلما كان العلم مقتضيا بالضرورة العلم بالثانى تعلق بهما علم واحد ، ولهذا قضى العلماء بأن العلم بالمعلوم ، علم بنفس العلم ، حتى أن العالم اذا علم حدث العالم فقد تعلق علمه المتعلق بحدث العالم بنفس علمه ، اذ لو قلنا : انه معلوم بعلم آخر لوجب أيضا أن يتعلق بالعلم الآخر ، علم آخر ويتسلسل الى غير غاية .

***

قال الإمام أبو المعالى : « ثم يفسد النظر تجرده (١) عن سنن الدليل أصلا وقد يفسد مع استناده للسداد لطرو قاطع » (٢) .

قال المفسر أبو بكر بن ميمون : أشبه شيء بالنظر الموصل الى العلم ، الطريق الموصلة الى بلد معين ، فان الذى يريد السير الى ذلك البلد ، ان سلك السبيل المؤدية اليه ، واستمر فى سلوكه ، بلغ اليه لامحالة ، وان نكب عن تلك السبيل واستمر ماشيا فى سلوكه ، لم يبلغ اليها أبدا . وكذلك الناظر هو السالك والدليل كالطريق المسلوكة . فان نظر الناظر فى دليل وتمم نظره ، بلغ مقصوده من العلم لامحالة . وان نظر فى شبهة كان كالسالك الى البلد طريقا غير الطريق الموصلة اليه . وهذا لايصل الى العلم أبدا ، ثم قد يفسد النظر بوجه آخر . وهو أن يبتدىء نظره فى دليل ، ثم لايستمر فى النظر ، اما لقاطع ضرورى يطرأ عليه من الغفلة والنوم ، وغير ذلك ، واما لقاطع يختاره كالاضراب عن النظر . وهذا أيضا لايصل الى العلم ، وهو بمثابة السالك فى الطريق الموصل الى البلد ، ثم أمسك عن السلوك لاعياء طرأ عليه ، أو غير ذلك . فهو أيضا لايصل الى البلد ، لامتناع السلوك الموصل اليه .

***

(١) بحيده : ط

(٢) للسداد أولا لطروء قاطع : ط

قال الإمام أبو المعالى : « فان قيل : قد انكرت طائفة (١) من الأوائل افضاء النظر الى العلم . وزعموا : أن مدارك العلوم : الحواس . فكيف السبيل الى مكالمتهم » الى آخر كلامه .

قال المفسر أبو بكر بن ميمون : هؤلاء القاصدون لابطال النظر بادعائهم أن المعارف هى المحسوسات ، أبطلوا القوة الانسانيه التى تميز بها الانسان عن البهائم لأن البهائم مشاركة للانسان فى المحسوسات ولو لم يكن معلوما الا محسوسا ، لبطل فضل الانسان . بل هناك معارف تميز بها الانسان : منها ضرورية ومنها نظرية . فالضرورية منها البديهية كمعرفة الانسان : أن الشىء الواحد لايخلو عن النفى والاثبات . وهذا هو العقل ، ومن ابطله ولم يثبته ، فقد أخرج الانسان عن كونه عاقلا . وكذلك علم الانسان بنفسه وبآلامه ولذاته ، وان كان هذا عندنا محسوسا . ولكن منكرى النظر لم يثبتوا من المحسوسات الا هذه الخمسة التى هى المرئيات والمسموعات والمشمومات والمذوقات والملموسات . ثم ان النظر هو الفضيلة التى فضل الله بها الانسان على البهائم ، اذ قد نجد فى البهائم تمييزا ما ، لكن الذى يفضل به الانسان انما هو النظر ، ثم هؤلاء يقسم الكلام عليهم ، كما ذكر الامام . ويقال لهم : هل أنتم مصممون على العلم بفساد النظر ، أم أنتم مستريبون شاكون ؟

فان زعموا انهم مصممون . كان قولهم ينقض بعضه بعضا . اذ فساد النظر ليس بمحسوس ، وكيف يصح أن يكون محسوسا ، ومعنى قولهم ابطال النظر : عدمه وانتفاؤه . والعدم والانتفاء لايتعلق الحس به ؟

---

(١) هم السوفسطائيون من أهل اليونان . ومن أشهر رجالهم « بروتاجوراس » المتوفى سنة ٤١١ ق.م. ومعاصره « جورجياس » المتوفى سنة ٣٨٠ ق.م [ص ٣ الارشاد] .